مختصر بحث
البرديات المسماه طبية

الأستاذ الدكتور بول غليونجى

إن تقدم العلوم أعنى العلم الحديث عن المؤلفات القديمة التى كانت ركيزة هذا التقدم ، فتوهم الشباب انها لا تسهم أية فائدة قط ، وهزأوا بها . من تلك المؤلفات العريقة البرديات المصرية التى أطلق عليها « البرديات الطبية » وإن كانت لا تمثل مؤلفات تعليمية أو موسوعات علمية بل أنها مجرد مجموعات من الوصفات تختلف قيمتها من قمة بردية أدوين سميث الجراحية إلى الحضيض الذى وصلت إليها الوسائل السحرية والرقى فى بردية لندن — ليدن .

ولذا فإنه يجب علينا — عند التحدث عن هذه البرديات — محاولة تصور الأصول التى استقت منها هذه البرديات المعلومات الواردة فيها ، ثم فصل ماهو واقعى وعلمى مما هو مجرد شعوذة وأوهام ، وهذا ماقام به علماء اللغة المصرية القديمة وقد استنتجوا من تحليلهم اللغوى والتاريخى أن مادة البرديات مأخوذة من أصول مختلفة حددوا بعضها : كتاب القلب والأوعية وكتاب الأورام وكتاب زيت الخروع ومؤلف فى جراحة العظام وكتاب الرمد وكتاب أمراض النساء والولادة وكتاب طب بيطرى .. الخ ، وقد دونت المقتطفات المستقاة من هذه الأصول دون نظام حسبما وردت فى أيدى الناسخين .

ثم أن هناك رواية قديمة تحدثت عن وجود موسوعة طبية كانت تحفظ فى خزائن المعابد نسبت إلى الاله تحوت ذاته ، اله العلم والسحر والطب ، مكونة من ستة أجزاء : جزء عن تكوين الجسم وجزء عن المرض وجزء عن الأعضاء وجزء عن العقاقير وجزء عن أمراض العيون وجزء عن أمراض النساء .

وبالإضافة فإن شواهد داخلية عدة من واقع متن النصوص تدل على أن أصولها اقدم منها ، ومنها المميزات اللغوية والسمات النحوية والإشارات إلى الأصول التى اتخذت منها .

ومع ذلك فإنه يبدو أن التعليم الطبي إذا ارتفع عن منسوب معين كان سرياً ويشهد بذلك مؤرخوالاغريق وفلاسفتهم الذين زاروا مصر فى القرون المتأخرة .

والبرديات « الطبية » المعروفة عددها عشر :

١ — بردية برلين التى تقع فى ٢٥ صفحة وتحوى ٢٤٠ وصفة وينقصها مبدؤها ، وهى تكرر إلى حد كبير ماورد فى برديتى هرست وابرس وتتناول الروماتيزم والأوعية والأذنين وبعض اختبارات الحمل .

٢ — بردية متحف بروكلين وهى مجموعة من رقى لحماية الوالدات من الأرواح الخبيثة تخلط بين الطب والسحر وفيها كشف بأسماء الثعابين المصرية ووصفها ووسائل التعرف عليها وعلاج الإصابة بها .

٣ — بردية كارلزبرج وهى تعنى بأمراض العيون وبأختبارات الحمل تشابه ما ورد منها فى برديات كاهون وبرلين وابرز .

٤ — بردية شستر بيتى المخصصة لأمراض الشرج وهى تحوى أيضاً بعض الوصفات للثديين وللقلب وللمثانة ، بالإضافة إلى بعض الرقى .

٥ — بردية ابرز وهى أكبر البرديات وتقع فى ١٠٨ صفحة وهى الوحيدة التى تتناول معلومات تأملية فى الصحة والمرض ، وتشمل العقاقير الطبية ، كما أنها تحوى أوصافاً جميلة لبعض الأمراض مثل الذبحة الصدرية والأورام والفتق وتمدد الشرايين والخراريج .. الخ وهى فى الحقيقة أهم البرديات المعروفة التى تناولت الأمراض الباطنة والعقاقير .

٦ — بردية هرست وهى أقل قيمة من بردية أبرز وإن كانت تفوقها فى بعض نصوصها .

٧ — بردية كاهون وهى أساس معرفتنا لأمراض النساء وإن كانت وصلت إلينا فى حالة من التهتك تحول دون فهم بعض أجزائها وبها النص البيطري الوحيد الذى وصل إلينا .

٨ — بردية لندن وهى وسط بين البرديات الطبية التى ذكرناها وكتب الرقى وفيها بعض الإشارات إلى نصوص اجنبية اقتبستها .

٩ — برديتا الرامسيوم ٤ ، ٥ ، تشبه أولاهما بردية كاهون وتكمل الثغرات التى وجدت بها وتتناول ثانيتهما أمراض الأطراف .

١٠ — أما بردية سميث فهى أهم نص جراحى وصل الينا وهى تصف ٤٨ حالة جراحية وقد نسبها البعض — نظراً لأهميتها — إلى امحوتب الذى اله فيما بعد . وتتدرج الحالات من الجمجمة إلى العمود الفقرى حيث انتهى النص ، الأمر الذى يشير إلى أن أصلها كان يمتد إلى بقية الجسم ، وتتسم بنظام دقيق فى العرض : يبدأ بالشكوى ثم بالفحص وبعدهما يجىء التشخيص فالتنبؤ بالمآل (ماسماه الأغريق والعرب بمقدمة المعرفة) فالعلاج . ولم تكتف البردية بعلاج واحد ، إذ أنها أمرت الطبيب بمتابعة الملاحظة وتغيير العلاج حسب تطورات المرض ، وامتازت بالواقعية التامة فى التشخيص والعلاج ، وقد أوضحت هذه البردية أن الطبيب المصرى كان على علم بعلاقة المخ بالأعضاء وبحركتها ، وبقيمة نبض المخ فى معرفة المآل ، وباستعمال الجبائر وبحياكة الجروح واستعمال الرباطات وقيمة الراحة وببعض التحريكات العلاجية ، وطرائق رد الخلع والكسور التى ماتزال نستعملها اليوم .

ا . د . بول غليونجى